النزعة الاجتماعية دافع أساسي للمسؤولية الاجتماعية

د.خالد خياط الباحثة عائشة حوحو

جامعة بسكرة

الملخص:

تتجلى المسؤولية الاجتماعية من خلال الاهتمام الاجتماعي الذي يظهر في علاقة الفرد بالآخرين، حيث لا يستطيع أي من الأفراد أن ينفصل كليا عن المجتمع وعن الالتزامات نحو هذا المجتمع.

أكد أدلر أن النزعة الاجتماعية هي التعويض الحقيقي عما يعانيه أفراد الجنس البشري من ضعف طبيعي، فبفضل الجماعة أنجب هذا الكائن البشري وبفضل انتمائه لجماعة بقي على قيد الحياة ونما في رفاهية. هذا يصبح دينا في عنق الكائن البشري يتوجب عليه تسديده والشعور بالمسؤولية تجاه الجماعة التي أنجبته وربته ورعته حتى رشده.

لذا توجب على الفرد أن يوجه كفاحه من أجل الاكتمال في خدمة الجماعة ولا يحصرها في خدمة ذاته. هنا يحل الخروج من الذات والتفتح على الجماعة محل الطموح الشخصي المتمركز على الذات، ويحل الإيثار محل الأنانية. بالعمل من أجل الصالح العام يعوض الإنسان ضعفه ويسدد دينه. سنسعى من خلال هذا المقال العلمي إلى إبراز أهمية نمو وتطوير النزعة الاجتماعية كدافع أساسي للمسؤولية الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية:

المسؤولية الاجتماعية، النزعة الاجتماعية

Abstract :

Social responsibility is reflected through the Social interest that emerges in the relationship of the individual to others, since no individual can fully separate from society and from obligations towards society.

Adler emphasized that social tendencies are a real compensation that one does to others because of the vulnerability of the human race. So the individual's struggle for excellence takes on a social rather than an individual character.

The ideals and values of an entire society replace personal ambition, Through this article, we seek to highlight the importance of the growth and development of Social attention as a fundamental motivation for social responsibility.

key words:

Social responsibility, Social Feeling (Interest).

مقدمة

تعد المسؤولية الاجتماعية إحدى دعائم الحياة المجتمعية المهمة و وسيلة للتقدم الفردي والجماعي، فقيمة الفرد في مجتمعه تقاس بمدى تحمله للمسؤولية تجاه نفسه وتجاه الآخرين والإحساس بالمسؤولية الاجتماعية يصقل الشعور بالواجب لدى الفرد ويؤدي إلى الالتزام بالمعايير والقواعد الإنسانية التي تؤدي إلى وحدة المجتمع وتآلف أفراده.

ولقد كانت نظرية **ألفرد أدلر** أول نظرية شخصية تبين أهمية المسؤولية والنفع، وفوق كل ذلك، أهمية العلاقات الاجتماعية في الحياة. ولقد شددت فلسفة علم النفس الفردي على أهمية المسؤولية الاجتماعية التي تنمو وتنضج وفقا للشعور الاجتماعي للفرد. فبعض السلوكيات ستكون نافعة وستسلك مسار النزعة الاجتماعية فتفيدنا في التحرك نحو الآخرين ومعهم في روح جماعية.

وهناك سلوكيات أخرى قد تبدو عديمة الفائدة فتبعدنا أو تضعنا في طريق مضاد للآخرين. وهو ما يقلص شعورنا بالمسؤولية تجاه الآخرين. وقد أكد ألفرد أدلر أهمية المسؤولية الاجتماعية التي تعود بالنفع على الفرد قبل الآخرين فالنزوع الاجتماعي يوفر لكل فرد إحساسا بالأمن الذي يمثل السند الرئيسي لنا في الحياة.

1- تعريف النزعة الاجتماعية:

كتب **أدلر** في كتابه "**مشكلات عصابية**" أن الفرد ذي النزعة الاجتماعية "يشعر أنه في داره في الدنيا ويشعر أن وجوده يستحق العناء بمقدار ما هو مفيد للآخرين، وبقدر ما يتخطى مشاعر القصور المشتركة بدلا من مشاعر قصوره الفردي". وعرض أدلر النزعة الاجتماعية بلغة مسقط رأسه الألمانية، وتبنى لها المقولة الإنجليزية "النظر بعين الآخر، والسمع بأذن الآخر، والإحساس بقلب الآخر" [1].

ويبدو لـ **هوبر** أن العديد من الأفكار تنطوي تحت الكلمة الألمانية الأصلية كـ: الجماعية، النشاطات الاجتماعية، الشعور. ولإعطاء الكلمة حقها، يرى أن علينا القول بأنها تعني: "التصرف مع الآخرين بطريقة تكافلية وتعاطفية". ويؤشر مفهوم النزعة الاجتماعية إلى علاقة الفرد بالكون ككل، ومن ثم كان الاهتمام بالبيئة كالتلوث وأزمة الطاقة تمثلان مسألتين رئيسيتين للنزعة الاجتماعية [2].

واعتبر **آنسباخر** و**آنسباخر** أن "النزعة الاجتماعية" تشمل مشاعر الفرد تجاه الغير والذات، والجماعات، والحاضر تماما كالمستقبل، وهي تميل تجاه الغيبيات، والكون الذي تعيش فيه الجماعة البشرية. فالشعور الاجتماعي هو شعور وحالة سلبية للعقل، أما الانشغال فهو العملية الاندفاعية والسلوكية التي تمت من خلالها التصرفات [3].

وأوضح **بيكهارد** و**فورد** بأن النزعة الاجتماعية هي مفهوم تجريدي أكثر من أن يعني "انشغالا" بـ أو "شعورا" مع الجماعة بل إنها تعني "السعي نحو جماعة لا بد أن ينظر إليها على أنها خالدة، مثلما يمكننا أن نتصورها لو أن البشرية بلغت هدف الكمال" [4].

إجمالا يمكننا القول بأن الفرد ذا النزعة الاجتماعية يشعر بالانتماء إلى الجماعة ويشعر بالمساواة مع أفرادها ويسعى للمساهمة في رفاهيتها، هي تعني التفتح خارج الذات بدلا من التمركز على الذات والتقوقع في خدمتها.

2– أصل النزعة الاجتماعية:

غالبا ما وصف **أدلر** على أنها النزعة الاجتماعية فطرية، وعلى أنها حاضرة بشكل ما في كل الكائنات البشرية. فقد قدم **أدلر** مفهوم النزعة الاجتماعية كميل بيولوجي ضروري، ثم دققها بمفهوم الانشغال الاجتماعي كـ "استعداد فطري لا كقدرة فطرية" [5]. يقول **أدلر**: "إن النزعة الاجتماعية ليست فطرية بل هي قابلية (فطرية) يجب تنميتها بوعي، وإلا بقيت مجرد قابلية. يجب علينا ألا نثق بما يقال

عن الغريزة الاجتماعية لأن التعبير عنها يتأثر بنظرة الطفل لمحيطه" [6]. وفي نظرية **أدلر** الناضجة لم تعد النزعة الاجتماعية قوة دينامية ثانوية نظيرة لابتغاء السمو، بل هي جزء من تجهيزات الفرد وأهم عنصر فيها. إنه يستخدمها في سعيه للسمو، الذي هو في حد ذاته حيادي اجتماعيا. وظلت فكرة أن النزعة الاجتماعية يمكن وينبغي أن تنمى خلال تنشئة الفرد مكونا جوهريا في نظرية علم النفس الفردي.

كما قد حاول **هانا** أن يبين أن النزعة الاجتماعية أكبر من مجرد مفهوم غيبي أو فرضي، بل هي في متناول التجريب والظواهرية [7].

3- نشأة ونمو النزعة الاجتماعية:

لا يولد ولا ينمو الطفل إلا في جماعة ولا يمكنه أن يستمر في الحياة إلا بفضل علاقات المجتمع معه، لذلك فإن وجوده مدين للجماعة التي ينتمي إليها ونموه مرهون وتتخلله مظلة الجماعة. في الوقت المحدد، تظهر أولى علامات النزوع الاجتماعي الفطري التي تقود الطفل إلى السعي إلى القرب من المحيط. يمكن للإنسان أن يلاحظ دوما أن الطفل يوجه دوافعه العاطفية تجاه الآخرين وليس تجاه نفسه، كما يعتقد البعض. هذه الدوافع تتباين في الدرجة وتختلف حسب اختلاف الأشخاص المحيطين به، والأم عادة هي من تحظى بأكبر اندفاع وتعلق للطفل بمحيطه الاجتماعي. إن نفس الطفل تملك بذور نمو النزعة الاجتماعية، الذي يجري أولا خلال الاتصال مع الأم باعتبارها الممثل الأول للجماعة أمام الطفل. هذه الأم سيتوجب عليها وسوف تؤدي وظيفتين بارزتين في هذا الإطار:

أ- **وظيفة الأم الأولى:** الأم تمثل الـ "أنت" المجسد للاتجاه الاجتماعي عند الطفل إذ تزوده بمثال اجتماعي جدير بالثقة. هنا تكمن أول وظيفة أمومية جسيمة، إنها تكمن في عتبة (الحد الأدنى) نمو النزوع الاجتماعي[8].في كل ما تقوم به الأم لأجل الطفل وفي كل ما يتطلبه هذا العاجز، يمكن أن يتعزز أو يعاق نمو

هذه الرابطة الاجتماعية النووية في وجدان الطفل، ويعد فهمها ومهاراتها وسيلتان حاسمتان. ولا ننسى أن الطفل بنفسه يستطيع أن يجبر الأم على التواصل عن طريق الصراخ والمواقف العصيانية، لأنه سيحرك لديها العاطفة الأمومية [9].

ب– وظيفة الأم الثانية: تتمثل في تحضير الطفل لتوسيع دائرة اهتمامه أبعد من شخصها، إذ لابد أن تعرف كيف توقظ عواطفه إزاء أبيه وكل عناصر إخوته وإلى أفراد المحيط وإلى الحياة الاجتماعية[10]. ما يتوجب على الأم من هذه الزاوية التنموية التطورية والاجتماعية هو تنشئة طفل متكافل متعاون يتحمل مسؤولياته تجاه الجماعة التي أنجبته وحافظت عليه ورعته بحيث يصبح فردا اجتماعيا يحب ويقدم المساعدة للغير، وإن عجزت كفاءاته أفسح المجال لمن يساعده بصدر رحب. ومن الواضح أننا ندين لهذه الوظيفة الأمومية بالقسط الأكبر من النزعة الاجتماعية لدى البشر، وبالتالي الجوهر الرئيسي للحضارة البشرية. وقد لاحظ **أدلر** (1933) أن الصلة الجيدة مع الأب أو الأجداد لا تكفي غالبا لملء الفراغ أو الفجوة التي قد تحدث في وظيفة الأم. ويمكن بصفة عامة القول أن الصلة الجيدة مع الأب أكثر من الأم تفصح عن الفشل من جهة الأخيرة، مما يعني تقريبا دوما مرحلة ثانية في حياة الطفل الذي خيبته أمه[11]. ويمكننا الجزم بأن التخلي عن هذه الرافعة لرقي البشرية سيحمل إلينا ورطة كبرى لأننا لن نستطيع تعويضه بشيء كاف تقريبا، هذا إن غضضنا البصر عن كون الشعور الأمومي سيذود بشراسة ضد تهديمه لأنه خاصية تطورية عسيرة الهدم لدى المرأة.

4– دور شخصية الأب: منعرج خطير آخر على نمو النزعة الاجتماعية تشكله شخصية الأب. لا يحق للأم أن تحرم الأب من فرصة بناء علاقة مع الطفل بالصفة الحميمة الأمكن مثلما يحدث في حالة الطفل المدلل جدا من طرف الأم أو في حالة نقص النزوع الاجتماعي لدى الأب أو في حالة نفور الطفل منه. لا ينبغي أن يُقدّم الأب للطفل كمصدر تهديد أو مُوزّع عقوبات، بل على الأب

تخصيص وقت كاف يقضيه قرب الطفل وأن يبدي عاطفة كافية تجاهه كي لا تقهقره الأم إلى الواجهة الخلفية. كما لا ينبغي له استبعاد الأم من خلال حنان جامح.

بعض الآباء يفرض تأديبا فظا على الطفل بغية تقويم الحنان الأمومي الجامح. هذا خطأ فادح لأنه يقرب الطفل أكثر من أمه. كذلك الحال بالنسبة لمحاولة فرض الأب سلطته ومبادئه على الطفل، فهذا إن جلب له طاعة الطفل فإنه لن يخلق أبدا روح التكافل والنزوع الاجتماعي. إن عصبية الآباء والخلافات الأسرية والتباينات في التربية عوامل يمكن أن تتلف بسهولة نمو النزعة الاجتماعية.

5- الجو الأسري وأسلوب التنشئة:

لتنمية سليمة للنزعة يجب الابتعاد عن تذكير الأطفال بصغرهم ونقص معرفتهم وضعفهم، بل يجب إشعارهم بالقيمة والمساواة، وفسح المجال لتدريب شجاع لهم والسماح لهم إن أبدوا اهتماما نحو أمر معين. كما يجب إشعار الأطفال بالانتماء وتفادي أي إقصاء جد واضح للطفل من مجتمع البالغين، مع الحرص على إخبارهم أن البدايات فقط صعبة. ومن الضروري والمهم كذلك إعطاء الحرية المطلقة للأطفال في الكلام وطرح أسئلة، أما السخرية من الطفل والضحك عليه وتوبيخه ومعايرته بأطفال آخرين، كل هذا يتلف الرابطة الاجتماعية للطفل وقد يؤدي به إلى موقف متزمت كالخجل وشعور جامح بالقصور.

في المقابل، ينبغي إعطاء الطفل حقه وقيمته الواقعية المستحقة دون مبالغة أو إفراط. من الأمور المؤذية للنزعة الاجتماعية إعطاء الطفل انطباعا قويا بقيمته الشخصية دون أن يقدم مساهمة أو يبذل مجهودا يعبر عن استحقاقه لها. تعرض الطفل لمرض يمكن أن يشكّل كذلك عائقا خطيرا على نمو النزعة الاجتماعية إن حدث خلال السنين الخمس الأولى. كما أن إرهاق الطفل بتكليف مبالغ لطاقاته

الجسمانية والنفسانية قد يحمله بسهولة –بفعل التعب والملل– على اتخاذ موقف اعتراضي يضر بعلاقته بالجماعة والحياة.

موعد الوجبات الغذائية ذو أهمية وخطورة كبرى في التربية المحضرة للحياة الاجتماعية، لابد من توفير مناخ لطيف في هذا المقام لأن هذه المناسبة هي الأحسن لبناء العلاقات الودية وترميم الخلافات والعلاقات. وفي نفس الوقت هي الأسوأ لمحاسبة الطفل أو تصفية حسابات أو انتقاد نتائج دراسية أو أي عيوب أخرى. لذلك يجب توفير مناخ اجتماعي حميمي خلال كل الوجبات، خاصة في مطلع اليوم عند الفطور. إن التوبيخات المتعلقة بالطرق السوية لابد أن تقل قدر الإمكان، والانتقادات ونوبات الغضب والمزاج السيء ينبغي أن يُبعدوا كلهم عن مائدة الطعام، وكذلك حال النظرات الثاقبة. وعموما، كل إطراء أو انتقاد لا يجب أن يوجه إلا إلى نجاح أو فشل التربية، ولا يوجه أبدا إلى شخصية الطفل [12].

يستمر نمو النزعة الاجتماعية مدى الحياة. يمكن أن تتمايز أو تتضاءل أو تمتد، وفي الحالات المستحبة يمكن أن تتسع أبعد من أعضاء الأسرة إلى الجماعة الأوسع، الأمة والبشرية برمتها. ويمكنها أن تذهب أبعد من ذلك بأن تمدد نفسها إلى الحيوانات والنباتات والجمادات وأخيرا تمتد حتى الكون. باختصار، تصبح حاجات الجماعة حاجات شخصية، ويغدو المنطق الجوهري للمجتمع البشري مهمة شخصية للطفل [13]. هكذا تبرز أهمية وضرورة النزعة الاجتماعية في حياة الفرد والمجتمع ككل، وتتجلى الفوائد العائدة على الفرد النازع اجتماعيا وعلى المجتمع الذي أنشأ أفرادا اجتماعيين، وثمار هذه التنشئة على نمو وتطور المسؤولية الاجتماعية.

في المقابل يمكن أن ينمو الفرد في اتجاه غير نافع يتسم بنقص في النزعة الاجتماعية ينجم عنه أشخاص غير مسؤولين اجتماعيا، تتفاوت درجات لا مسؤوليتهم وفق مقدار النقص والفجوة في نزعتهم الاجتماعية. ويشير أدلر إلى بعض المواقف التي تعترض الطفل وتدفعه في وجهة مستهجنة وتعسّر أو تمنع

نمو النزعة الاجتماعية لديه، منها مشكلات أساليب التربية الخاطئة وهي التدليل والنبذ والإهمال والقسوة ومشكلة القصورات العضوية الفطرية.

إن أهمية القصورات العضوية الفطرية تكمن في أنها تظهر حسب احتمال إحصائي كآلام مولّدة للتوجه الضال وكعوائق للنزوع الاجتماعي، لهذا وجبت الوقاية من الأمراض قدر المستطاع دون إفزاع الطفل أو حرمانه من الاتصال بالآخرين. كما يجب تفادي إظهار قلق كبير أمام مواقف خطيرة معينة بل يجب ضبط المشاعر الجياشة والانفعال برويّة عقلانية وبدفاع ملائم. إن القلق والحيرة والدموع لا يساعدون الطفل المريض أو المكروب بل يدفعونه إلى الانتفاع من وضعيته، لذلك وجب تحسين أو معالجة العيوب والأعطاب القابلة للتقويم لدى الطفل في أقرب الآجال دون تأخير أو تأجيل أو ترك معالجتها للزمن [14].

إن الأفراد الذي لم تنمو نزعتهم الاجتماعية بشكل كاف لن يتواجدوا في الصفوف الأولى من النشاطات النافعة اجتماعيا أو التي تحمل قدرا من المسؤولية الاجتماعية. وإن حملتهم ظروف رغدة إلى ذلك فلن يحسنوا الحفاظ على وضعيتهم. هم ليسوا اجتماعيين، ويخفقون في الإجابة على مسائل الحياة الثلاثة (الصداقة والمهنة والحب) بفعل نقص اهتمامهم بالآخرين وكونهم غير محضرين لهذا النهج التكافلي، بينما حلّ هذه المسائل لا يتواجد خارج نطاق الجماعة [15].

بالإمكان اكتشاف إن كان طفل ذو الأربعة أعوام أو خمسة يهتم بالآخرين أو لا، وهل هو كائن اجتماعي بأتم معنى الكلمة أم لا، وهل هو مسؤول اجتماعيا. هذا الطفل يشعر بالود والإخاء تجاه إخوته في البيت ويتعاون ويتكافل معهم ومع والديه، ويندفع نحو التكفل ورعاية إخوته الصغار ويشعر بالمسؤولية تجاههم وتجاه أسرته ككل. طفل كهذا يتسم بالقدرة على تكوين صداقات وشجاعة الابتعاد عن محيطه الأسري والاستقلالية عنه وتحمل مسؤولية نفسه دون الاتكال التصاغري على الوالدين أو العش الأسري. هذا الطفل يثبت أنه سيصبح في المستقبل شخصا مستقلا في ذاته ويشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه بصفته فردا عضوا في

الجماعة ويتحملها بصدر رحب، ويشعر بأنها دين تدين به الجماعة تجاهه ويتوجب عليه تسديده عن طريق المساهمة في الحفاظ على استمرار الجنس البشري ورفاهية الأجيال الحاضرة والمقبلة.

أما الشخص المزاجي والعصابي والجانح وكذا المترشح للانتحار والعاهرة والشاذ الجنسي، كل هؤلاء ذوو نزعة اجتماعي ضعيفة وليسوا متكافلين مع الآخرين بصفة كافية وتشكل اضطراباتهم تعبيرا صريحا عن هروبهم أو تهربهم من المسؤوليات التي تلقيها الجماعة على عاتقهم والمهام التي يقتضيها العيش في جماعة. والسكر والإدمانات هي وسائط صريحة للتملص من الواجبات والمسؤوليات الاجتماعية، نظرا لكونها شهوات لا يستطيع الفرد المفتقر إلى النزعة الاجتماعية الهارب من المسائل الاجتماعية مقاومتها إلا بصعوبة لو اعترضت سبيله بقوة زائدة.

خاتمة:

إن المسؤولية الاجتماعية تنبثق أساسا من الاهتمام الاجتماعي الفطري الذي يولد الطفل مزودا به. وتغذيه الأم بنشاطها الاجتماعي الموجه تجاه طفلها. فحسب مفهوم علم النفس الفردي إن النزوع الاجتماعي فطري وإن الإنسان مخلوق اجتماعي بطبيعته، لكن هذا لا ينمو ويتطور تلقائيا وإنما بالتوجيه والتدريب، فالمولود الجديد يجد نفسه منذ الولادة في موقف يستفيد منه من رعاية وتعاون الآخرين لخدمته، وسرعان ما سوف يتوجب عليه التعاون مع الآخرين من أعضاء العائلة، ومن ثم التكافل مع الآخرين في الجماعة برمتها. وقد أكد أدلر على أهمية تأثير الأم في تعليم الطفل مفاهيم التعاون والتكافل والرفق والشجاعة، وفي هذا يقول أدلر: "إذا شعر الفرد بأنه متحد مع الآخرين يستطيع أن يعمل بشجاعة مع محاولاته في التغلب على مشاكل الحياة، فالطفل عندما يصبح راشدا وينظر إلى الآخرين بعين العداء والريبة سوف يتعامل مع مشاكل الحياة بنفس الاتجاه.

فالأشخاص الذين لا يملكون شعور بالنزوع الاجتماعي يصبحون أشخاصا غير مسئولين اجتماعيا".

الهوامش:

1- BASS, M, L et al (2002). **Social Interest: a Meta-Analysis of a Multidimensional Construct**. In: SLAVIK,S & CARLSON,J (2006).**Readings in the Theory of Individual Psychology**. Routledge. New York. 2006. pp123-124

2- HUBER,J.(2006). **In Search of Social Interest**. In: SLAVIK,S &CARLSON,J. **Readings in the Theory of Individual Psychology**. Routledge. New York. 2006. pp114-115

3- Bass.M.L et al. Ibid. p124

4- BICKHARD,M,H & FORD,B,L (1976). **Adler's Concept of Social Interest: a Critical Explication**. In: SLAVIK,S & CARLSON,J (2006).**Readings in the Theory of Individual Psychology**. Routledge. New York. 2006. p152

5- STASIO,M,J & CAPRON,E,W.(1998). **Social Interest as a Distinct Personality Construct**. In: SLAVIK,S & CARLSON,J (2006).**Readings in the Theory of Individual Psychology.** Routledge. New York. 2006 .p174

6- ألفرد أدلر (1929). **العصاب** . ترجمة أحمد الرفاعي وفارس ضاهر. دار ومكتبة الهلال. بيروت. 1982. ص81

7- HANNA,F,J (1996). **Community Feeling, Empathy and Intersubjectivity:a Phenomenological Framework**.In: SLAVIK,S & CARLSON,J.(2006).**Readings in the Theory of Individual Psychology**. Routledge. New York. 2006. p425

8- Adler.A. Ibid. pp134-152
9- Adler.A. Ibid. p134
10- Adler.A. Ibid. pp150-151
11- Adler.A. Ibid. pp134-135
12- Adler.A. Ibid. pp135-137
13- Ansbacher, H.L & Ansbacher,R (1956). **The Individual Psychology of Adler Alfred.** Harper Torch Book .New York. 2nd ED.1967. P138

14- Adler.A. Ibid. pp137-138

15- Adler.A. Ibid. p152